المصدر الصريح والمؤول

الدكتور فاضل صالح السامرائي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

يقصد بالمصدر الصريح المفردة التي تدل على الحدث المجرد نحو انطلاق وذهاب ويقصد بالمصدر المؤول الجمل التي تقع موقع المصدر الصريح بتصدر أحد الاحرف المصدرية ، فمن المصادر الصريحة قولك (اعجبني انطلاقك) ومن المصادر المؤولة قولك (اعجبني ان تنطلق) .

وهناك اختلاف بينهما في المعنى والاستعمال فقد يقع المصدر الصريح في مواطن لا يقع فيها المؤول وبالعكس ، وقد يؤدي احدهما معنى لا يؤديه الآخر .

وسبب هذا الاختلاف في الغالب يعود الى ان المصدر الصريح هو مفردة والمصدر المؤول جملة اوقعها الحرف المصدري موقع المفرد ، وثمة فرق بين المفرد والجملة ولذا قد يسد المصدر المؤول مسد ما يقتضي جملة احيانا نحو (حسبت أنك قائم) و (ليت اننا لم نكبر) ولا يسد مسد ذلك المصدر الصريح لان الفرق بينهما كالفرق بين الجملة والمفرد الا في مواطن .

فمن الاختلاف في الاستعمال بينهما :

١ ـ ان المصدر المؤول قد يسد مسد المسند والمسند اليه نحو (ظننت انك ذاهب) و (أحسب الناس ان يتركوا) ولا يسد المصدر الصريح مسدهما وذلك ان المصدر المؤول في الاصل جملة لها معناها الحاصل من الاسناد أوقعها الحرف موقع المفرد بخلاف المصدر الصريح فانه مفرد أصلا .

٢ ـ ان المصدر المؤول يسد مسد خبر فعل الرجاء او مسد فاعله نحو (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) و (عسى الله ان يأتي بالفتح) ولا يسد ذلك المصدر الصريح .

٣ ــ ينوب المصدر الصريح عن ظرف الزمان ولا ينوب عنه المؤول تقول (جئتك غروب الشمس) أي وقت غروبها و (جئت قدوم الحاج) أي وقت قدومهم ولا تقول (جئتك أن تغرب الشمس) ولا (جئت ان قدم الحاج) .

٤ ــ يكثر حذف حرف الجر مع أن وانّ نحو (ولا يجر منكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام) أي لان صدوكم و (عجبت ان اخاك ناجح) أي من ان اخاك ناجح . وهذا قياس اذا اتضح المعنى ، وليس الامر كذلك مع المصدر الصريح .

٥ ــ يصح وصف المصدر الصريح ولا يصح وصف المصدر المؤول تقول : (يعجبني انطلاقك السريع) ولا يصح (يعجبني ان تنطلق السريع)[1] .

٦ ــ ينوب المصدر الصريح عن فعله نحو (صبرا آل ياسر) و (فضرب الرقاب) أي اصبرو اواضربوا . ونحو (سقيا لك) و (أتوانيا وقد جد الناس) ولا ينوب عنه المصدر المؤول .

٧ ــ يؤكد المصدر الصريح فعله[2] ويبين نوعه وعدده نحو (انطلقت انطلاقا) و (انطلقت الانطلاق) وانطلاق السهم وانطلاقتين ولا يستعمل المصدر المؤول لذلك الى غير ذلك من اوجه الخلاف في الاستعمال .

ثم ان لكل من المصدرين الصريح والمؤول غرضا لا يؤديه الآخر ، فمن ذلك :

١ ــ ان المصدر المؤول يفيد الدلالة على الزمان بخلاف المصدر الصريح تقول : (اعجبني ان قمت) فيفيد الدلالة على المضيّ و (أن تصبرَ خيرٌ لك) فيفيد الدلالة على الاستقبال وقد يفيد الحال بحسب الفعل بخلاف المصدر الصريح فانك اذا قلت (صبرك خير لك) احتمل المضي والحال والاستقبال لانه ليس في صيغته ما يدل على تحديد زمن[3] .

---

(١) انظر المغني ٦٧٩/٢ ، الهمع ١٥١/١ ــ ١٥٢ ؛ الاشباه والنظائر ١٩٥/٢ .

(٢) حاشية الصبان ١٧٦/١ .

(٣) انظر بدائع الفوائد /٩٢ .

ثم اضافة الى انه يستعمل للتمييز بين ما هـو واقـع وما سيقع يستعمل ايضا للدلالة على المأمور به او المنهي عنه او المدعو به وما الى ذلك نحو (اشرت اليه بأن قم) او بأن لا تقم وبأن حفظك الله . ولو ابدلته بالصريح لم يفهم المعنى نفسه .

٢ ـ ان المصدر المؤول ولا سيما مع (ان) يدل « على مجرد الحـدث دون احتمال معنى زائد عليه ففيها ـ يعني أن ـ تحصين من الاشكال وتخليص له من شوائب الاجمال ، بيانه انك اذا قلت : كرهت خروجك واعجبني قدومك احتمل الكلام معاني منها ان يكون نفس القدوم هو المعجب لك دونه صفة من صفاته وهيأته وان كان لا يوصف في الحقيقة بصفـات ولكنها عبارة عن الكيفيات واحتمل ايضا انك تريد انه اعجبك سرعته او بطؤه أو حالة من حالاته فاذا قلت (اعجبني ان قدمت) كان أن علـى الفعل بمنزلة الطبائع والصواب من عوارض الاجمالات المقصودة فـي الاذهان »[٤] .

وايضاح ذلك انك اذا قلت مثلا (يعجبني مشي محمد) فقد يفيد ذلك ان في مشيه صفة معينة هي التي تعجبك فيه ويحتمل ايضا انه يعجبك مجرد المشي من دون قصد الى صفة معينة ، ولكن اذا قلت (يعجبني ان يمشي) كان ذلك لمجرد المشي لا لشيء آخر او لصفة خاصة . ونحو ذلك قوله تعالى (بل زُيّن للذين كفروا مكرهم وصُدّوا عن السبيل) فان قوله (زين للذين كفروا مكرهم) يحتمل ان مكرهم انما زين لهم لما فيه من الدهاء والحيلة والاستدراج ولو قال (زُين للذين كفروا أن يمكروا) لكان المعنى انه زين لهم ان يفعلوا مكرا لا ان مكرهم له صفة معينة هي التي تزينه لهم . ومثله (يعجبهم علمهم) و (يعجبهم ان يعلموا) .

---

(٤) المصدر نفسه ١/٩٢ ـ ٩٣ .

٣ ــ ان (ان) والفعل قد تفيد الاباحة ولا تفيد القطع بحصول الفعل بخلاف المصدر الصريح فانه قد يفيد القطع بحصوله وذلك نحو ان تقول (له صراخ صراخ الثكلى) فهذا يختلف عن قولك (له ان يصرخ صراخ الثكلى) فان قولك (له صراخ) قطع بحصول الفعل اي هو يصرخ : اما اذا قلت (له ان يصرخ) فلا يفيد ذاك ان الصراخ حصل وانما المعنى يحق له ان يصرخ[٥] كما تقول (لك ان تذهب الى البصرة) أي يحق لك .

٤ ــ ان المصدر المؤول يبين الفاعل من المفعول من نائب الفاعل ولا يبين ذلك المصدر الصريح تقول (ساءني ان يعاقب محمد) فمحمد نائب فاعل و (ساءني ان يعاقب محمد) فمحمد فاعل و (ساءني ان يعاقب خالد" محمدا) فمحمد مفعول به . فان قلت (ساءني معاقبة محمد) احتمل ان يكون محمد فاعلا او مفعولا ، ولا يبين المصدر الصريح نائب الفاعل فاذا اردت بيان نائب الفاعل وجب ان تأتي بالمصدر المؤول تقول (عجبت من ان يُضرَب عمرو) فعمرو نائب فاعل فاذا قلت (عجبت من ضرب عمرو) تبادر الى الذهن انه فاعل[٦] الا في تعبيرات محدودة .

٥ ــ ان لكل حرف من الحروف المصدرية معنى خاصا به فاذا جئت بالمصدر الصريح لم يتبين المقصود وذلك ان (انّ) تفيد التوكيد و (انْ) للاستقبال و (ما) للحال اذا دخلت على المضارع و (لو) للتمني و (كي) للتعليل فاذا جئت بالمصدر الصريح انتفى التمييز بينها فعلى سبيل المثال انك تقول :

١ ــ يسرني ان تذهب ٢ ــ يسرني ان ذهبت ٣ ــ يسرني انك ذاهب ٤ ــ يسرني انك تذهب ٥ ــ يسرني انك ذهبت ٦ ــ يسرني لو ذهبت ٧ ــ يسرني انك ستذهب ٨ ــ يسرني ما ذهبت .

وهذه كلها تؤول بيسرني ذهابك .

---

(٥) انظر الرضي على الكافية ١/١٣١ ، حاشية يس على التصريح ١/٣٣٣ .

(٦) حاشية الصبان ٢/٢٨٣ .

٦ ــ التمييز بين الصيغ ومدلولاتها فانه في المصادر المؤولة تستطيع ان تأتي بالفعل واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسم التفضيل فتفيد كل صيغة دلالتها من حدوث وثبوت وتكثير وتفضيل وغيرها في حين لا يتأتى ذلك في المصادر الصريحة • فأنت تقول (يعجبني ان محمدا ضارب ومضروب وضرّاب واضرب من غيره) في حين انها كلها تكون بلفظ واحد في المصدر الصريح تقول (يعجبني ضرب محمد) أو تتكلف تعبيرات اخرى لا تؤدي مؤدى الاصل نحو : يعجبني افضلية ضرب محمد او كثرته ونحو ذلك • ففي المصدر المؤول من التمييز بين المعاني ما ليس في المصدر الصريح •

٧ ــ يؤتى بالمصدر المؤول فيما ليس له مصدر صريح من الافعال كالافعال الجامدة نحو (وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) و (ان ليس للانسان الا ما سعى) •

٨ ــ قد يؤتى بالمصدر الصريح لارادة الحدث وحده دون ارادة صاحبه او ارادة زمنه نحو (الحمد لله رب العالمين) فانه يراد بالحمد مجرد الحدث لا صاحبه ولا زمنه ونحو (الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان) ونحو (هم في شقاق) و (ما يعدهم الشيطان الا غرورا) و (ما كيد الكافرين الا في ضلال) فامساك وتسريح وشقاق وغرور وضلال احداث مجردة فجيء بها مصادر صريحة ولا يراد معها اصحابها • ولو قال (وما يعدهم الشيطان الا ان يغرهم) لتغير المعنى ولو قال (وماكيد الكافرين الا في ان يضلوا) لم يكن لذلك معنى •

٩ ــ ايقاع الجمل المختلفة بدلالتها المتميزة موقع المصدر في المصدر المؤول ولا يتأتى ذلك في المصدر الصريح وذلك كالجمل الفعلية والاسمية الكبرى والصغرى ، المؤكدة بطرق التوكيد المختلفة وغير المؤكدة ، المثبتة والمنفية باساليب النفي المختلفة ، الشرطية وغيرها وما الى ذلك من انواع الجمل مما لا يتأتى في المصدر الصريح نحو (وأن لو استقاموا على الطريقة

لا سقيناهم ماء غدقا) و (أعلم ان لا اله الا الله) وعلمت ان محمدا ذو مال كثير وعلمت ان محمدا ماله كثير وعلمت ان محمدا ليس لـه مـال وعلمت ان محمدا لا مال له وغير ذلك .

واليك مثلا يوضح كيف ان المصـادر المؤولة المختلفـة ذات الدلالات المتعددة تؤول بلفظ واحد على تباينها :

١ ــ يسرني أن محمدا ضرب

٢ ــ يسرني أن محمداً يضرب

٣ ــ يسرني أنْ ضرب محمد

٤ ــ يسرني أنْ قد ضرب محمد

٥ ــ يسرني ان قد يضرب محمد

٦ ــ يسرني انْ محمدٌ ضرب

٧ ــ يسرني انْ محمدٌ يضرب

٨ ــ يسرني انه محمد ضرب

٩ ــ يسرني انه محمد يضرب

١٠ــ يسرني انه قد ضرب محمد

١١ــ يسرني انه قد يضرب محمد

١٢ــ يسرني ان محمدا سيضرب

١٣ــ يسرني ان سيضرب محمد

١٤ــ يسرني انه سيضرب محمد

١٥ــ يسرني انه محمد سيضرب

١٦ــ يسرني ان محمدا ضارب

١٧ــ يسرني انه محمدٌ ضارب

١٨ـ يسرني انه ضاربٌ محمدٌ

١٩ـ يسرني انْ محمد ضارب

٢٠ـ يسرني انْ ضاربٌ محمد

٢١ـ يسرني ان محمدا انه ضارب

٢٢ـ يسرني ان محمدا انه لضارب

٢٣ـ يسرني أن محمدا أنه ضارب

٢٤ـ يسرني أن محمدا ضرّاب

٢٥ـ يسرني انه محمد ضراب

٢٦ـ يسرني ان محمدٌ ضراب

٢٧ـ يسرني انه ضرّاب محمد

٢٨ـ يسرني انْ ضرّاب محمد

٢٩ـ يسرني ان محمدا انه ضرّاب

٣٠ـ يسرني ان محمدا انه لضرّاب

٣١ـ يسرني محمدا انه ضراب

٣٢ـ يسرني ان محمدا اضرب

٣٣ـ يسرني انْ محمدٌ اضرب

٣٤ـ يسرني انه محمد اضرب

٣٥ـ يسرني ان محمدا انه اضرب

٣٦ـ يسرني ان محمدا انه لأضرب

٣٧ـ يسرني أن محمدا أنه اضرب

٣٨ـ يسرني انه اضربُ محمدٌ

٣٩ـ يسرني ان محمدا مضروب

٤٠ـ يسرني انه محمد مضروب

ونكتفي بهذا القدر وهناك صور أخرى لهذا التعبير وهذه كلها تؤول بتعبير واحد هو (يسرني ضرب محمد) .

وبهذا يتضح لنا ان احد المصدرين لا يغني عن الآخر ولا يسد مسده بل لكل منهما خصائصه وغرضه .

الحروف المصدرية

في العربية حروف تسمى الحروف المصدرية وهي أنّ وأنْ وكي ولو وما. ووظيفة الحرف المصدري ايقاع الجملة موقع المفرد فتوقعها فاعلا ومبتدأ ومفعولا به ومضافا اليه ومجرورة بحرف الجر وغير ذلك ، تقول (أن تعدل في حكمك خير لك من ان تجور) فأوقعت (تعدل) مبتدأ اخبرت عنه ، وتقول (يسرني ان تفوز) فجعلت (تفوز) فاعلا ، وتقول (سررت بأنك فائز) فأوقعت (انت فائز) مجرورا بالحرف وهكذا ، ولا يتأتى ذلك لولا الحرف المصدري .

وقد تقول : اذا كانت هذه الغاية من الحرف المصدري فلماذا تعددت الحروف المصدرية ؟

والجواب ان هذه الأحرف ليست متطابقة من حيث الوظيفة بل ان لكل حرف معنى ووظيفة قد تختلف عن الآخر .

ف أنّ : تدخل على الجمل الاسمية وتفيد التوكيد نحو (واعلموا أنكم ملاقوه) بخلاف (أنْ) الخفيفة الاصل فهي لا تفيد التوكيد ولذا قالوا اذا وقعت (أنّ) المشددة بعد افعال الرجحان افادت العلم نحو (قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) واذا وقعت الخفيفة لم تفد ذلك تقول (اظن أن يأتي محمد) .

والمخففة من الثقيلة حرف مصدري ايضا يدخل على ما لا تدخل عليه المشددة كالافعال الجامدة والجمل الانشائية وغيرها نحو (وان ليس للانسان الا ما سعى) و (وأن لو استقاموا على الطريقة) . وهي تفيد التوكيد ايضا .

أنْ الخفيفة الاصل : وتدخل على الجمل الفعلية وهي تدخل على المضارع فتصرفه الى الاستقبال غالبا نحو (اريد أن تزورني) وتدخل على الماضي نحو (هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله) وتدخل على الأمر نحو (واذا انزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولو الطول منهم) ونحو قولنا (ناديتهم بأن اقدموا) • وقد تفيد التعليل نحو (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) •

وقد ذكر برجشتراسر ذاك جاء في (التطور النحوي) : « وأخرجوا (أنْ) عن كونها مصدرية محضة فان قولي (اريد أن تفعل ذلك) يتعدى قولي اريد فعلك ذلك في ان نصب الفعل يقرب (ان) من (كي) كأني قلت (اريد كي تفعل ذلك) أي غرض ارادتي فعلك ذلك كما جاء في القرآن الكريم (انما يريد الله ليعذبهم بها) • فالجمل المصدرية النائبه عن مفعول فعل من افعال الارادة والطلب وما يشاكلها تقترب من الجمل الغرضية في جوهر معناها »[٧] •

غير أني اخالفه في المثال الذي ذكره (اريد أن تفعل ذلك) فهذا لا يفيد التعليل • ولا شك انه يعني بالغرض التعليل خصوصا وانه نظرّها بكي ، اما اذا كان يقصد بقوله (غرض) المعنى العام فان كثيرا من المفعول به غرض فاذا قلت (اريد كتابا) كان الكتاب غرضا واذا قلت (اود لقاءه) كان اللقاء غرضا بهذا المعنى •

وقد وردت (أنْ) للتعليل كثيرا في القرآن الكريم وذلك نحو قوله (ولا يجر منكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) أي لان صدوكم ، وقوله (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألاّ يجدوا ما ينفقون) وقوله (وتخر الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا) •

وقد تقول : ان معنى التعليل لم يأت من (انْ) وانما هو من الحرف المقدر اللام او غيره •

---

(٧) التطور النحوي ١٢٦ •

وأقول : اذا كان بالامكان تقدير حرف يفيد التعليل في قسم من الامثلة فقد يمتنع في قسم آخر ، فمما يصح فيه تقدير حرف يفيد التعليل قوله تعالى (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) أي لان جاءه .

ومن الثاني قوله تعالى (اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) فلا يصح ابدال (كي) او (اللام) بها فلا يصح للمعنى نفسه ان تقول (اتقتلون رجلا كي يقول ربي الله) أو (ليقول ربي الله) واللام عندهم على تقدير (أن) .

فمعنى الآية أتقتلونه لأنه يقول ربي الله ومعناها باللام أو بكي اتقتلونه حتى يقولها ، فمعناها بـ (أن) انه يقولها ومعناها بكي وباللام انه لا يقولها . ومثله قولـه (يخرجون الرسـول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) وهي كالآية السابقة .

وقد تقول : انه يصح ان نقول (اتقتلون رجلا لأن يقول ربي الله) للمعنى نفسه او قريب منه فأقول : ان ذكر (أن) يؤدي معنى لا يؤديه حذفها وابدال بها غيرها ، فاللام عندهم على تقدير (أن°) ومع ذلك اذا حذفت (ان) وجئت باللام تغير المعنى في نحو هذا ، فذكر (أن) يفيد نوعا من التعليل لا يفيـده حذفها .

وهي تستعمل للتعليل مع الفعل الماضي بدلا من كي أو اللام لان هذين الحرفين لا يباشر ان الفعل الماضي وذلك نحو (افنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين) والنحاة يقدرون اللام في نحو هذا .

والخلاصة انها استعملت في التعليل كثيرا في الماضي والمضـارع بدون حرف يفيد العلة ، ثم ان التعليل بها قد يختلف عن التعليل بكي او اللام .

هذا من ناحية التعليل . واما من ناحية الزمن فانها تصرف الزمن للاستقبال غالبا . ومن غير الغالب قوله تعالى (وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه) فهذا ليس نصا في الاستقبال بل يشمل الحال ايضا وكقوله تعالى (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألاّ يجدوا ما ينفقون) وهم لا يجدون ما ينفقون في

الحال . ونحوه قوله (فلعلك تاركٌ بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا انزل عليه كنز) فـ (أن يقولوا) ليس نصا في الاستقبال بل هو يفيد الحال وما قبل الحال ايضا لأن هذا القول صدر منهم قبل نزول الآية ، وكقوله (والقى في الارض رواسي ان تميد بكم) وهي لا تميد لا في الحال ولا في الاستقبال الا ان يشاء الله . وقوله (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله) وهم اخرجوا لأنهم قالوا ذلك ومستمرون على قوله ايضا وقوله (فهم لا يهتدون ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والارض) والمقصود بـ (ألاّ يسجدوا) الحال .

ومثله قوله تعالى (اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) وقوله (يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) وقوله (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وان كل ذلك ليس فيه تنصيص على الاستقبال ونحوه (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) وهو لم يسجد في الماضي ، وقوله (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره) وهما قائمتان بامره لم تزالا ولا تزالان .

غير أنه يمكن ان يقال ان اغلب ما ذكرنا يفيد الاستمرار الذي منه الاستقبال فتكون دلت على الاستقبال ضمنا لا تنصيصا ، ولا ينطبق هذا على نحو قوله تعالى (الا يجدوا ما ينفقون) فيما احسب فان هؤلاء قد يجدون في الاستقبال ما ينفقون والله اعلم .

ما : و (ما) تدخل على الفعل المتصرف في الغالب ماضيا كان او مضارعا نحو قوله تعالى (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقوله (وانا بريء مما تجرمون) أي من اجرامكم . وقوله (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بسعيها . وقد تدخل على غير ذلك قليلا نحو (بقوا في الدنيا ما الدنيا باقية) وقوله :

اعلاقة ام الوليد بعد ما ... افنان رأسك كالثغام المخلس

وقيل : (ما) كافة لـ (بعد) عن الاضافة[٨] .

---

(٨) انظر الرضي على الكافية ٢/٤٢٨ ، المغني ١/٣١١ .

وهي اذا دخلت على الفعل المضارع افادت الحال[٩] نحو (سبحانه وتعالى عما يصفون) ونحو (فذرهم وما يفترون) .

وقد تكون زمانية نحو قوله تعالى (وانا لن ندخلها ما داموا فيها) أي مدة دوامهم فيها وقوله (فاتقوا الله ما استطعتم) أي مدة استطاعتكم على احد التقديرين .

وقد ذكر برجشتراسر أن التطابق كثير بين أنْ وأنّ وما ، قال : « واذا تساءلنا عن الفرق بين أن وان وبين (ما) مع صرف النظر عن الحالات التي تفي فيها (أن) بوظيفة خاصة بها فتعمل في نصب الفعل وجدنا أن التطابق بينها كثير مثاله من القرآن الكريم (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة) و (ذلك بما عصوا) فأن و (ما) معناهما واحد ومنه (من بعد ما جاءهم العلم) و (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) وعلى العموم فـ (ما) اندر كثيرا من (ان) و (انّ) ويقل استعمالها تدريجيا مع تطور اللغة العربية غير أنها احتفظت بها في بعض الاحوال نحو (قل ما وجد مثل ذلك) وطالما وبئس ما ...

وقد تميز العربية بين ان وان وبين (ما) في المعنى واشهر مثال لذلك هو الفرق بين كأن وكأنّ وبين (كما) فكأن وكأنّ تفيدان فرض كون الشيء غير ما هو عليه في الحقيقة وكما تفيد التشبه والتمثيل الحقيقي مثال ذلك (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) والجبل لم يكن ظلة او مثل ظلة بل كان ضدها في المتانة والرسو . والمعنى لو كان الجبل كظلة لكان تتقه ورفعه وزلزلته قريبا من الاحتمال فلأنه لم يكن كظلة كان تتقه من المعجزات . (كما) مثل (آمنا كما آمن الناس) يعني ايماننا مثل ايمانهم »[١٠] .

والحق انه ليس ثمة تطابق بين هذه الاحرف فأنّ تفيد التوكيد وأما (أنْ) و (ما) فبينهما اوجه اختلاف منها :

---

(٩) انظر التصريح ٢/٦٢ ، الهمع ٢/٩٢ .

(١٠) التطور النحوي ١٢٦ – ١٢٧ .

١ ــ ان (أنْ) تفيد الاستقبال في الغالب و (ما) تفيد الحال وذلك اذا دخلتا على الفعل المضارع فمن ذلك قوله تعالى (اذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) فـ (يبسطوا) المقصود به الاستقبال ولو قال (ما يبسطون) لكان للحال • وقوله (هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا) أي شريطة ان تعلمني فالتعليم في المستقبل ، ولو قال (على ما تعلمني) لكان المقصود به الحال ، وقوله (ساء ما يعملون) ولو قال (ان يعملوا) لكان للاستقبال ومنه (فذرهم وما يفترون) و (وانا بريء مما تجرمون) فهذه كلها للحال بعكس أن •

٢ ــ ان (ما) قد تكون زمانية بخلاف (ن) وذلك نحو قوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقوله (واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) وقولك (انت مفلح ما تفعل الخير) أي مدة فعلك الخير •

٣ ــ ان (ما) تكون اسما موصولا وتكون حرفا مصدريا ايضا وفي قسم من التعبيرات يحتمل الكلام المعينين فيكون من باب التعبير الاحتمالي الذي له نظائر في العربية وذلك نحو (ساء ما يعملون) فقد يحتمل المعنى ساء عملهم وساء الذي يعملونه • وقوله (وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك) فالمعنى يحتمل ادع ربك بعهده عندك ويحتمل بالذي عهده عندك ، ونحوه قوله (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) فهذا يحتمل ياليت قومي يعلمون بمغفرة ربي لي ويحتمل انه ياليتهم يعلمون بالشيء الذي غفر لي به ربي •

ونحوه ان تقول (صبرت على ما كذبتني) فالمعنى يحتمل : صبرت على تكذيبك لي ويحتمل : صبرت على ما كذبتني به اي الشيء الذي كذبتني به ونحوه ان تقول (صدق ما عاهد الله) فهذا يحتمل انه صدق عهد الله ويحتمل صدق ما عاهد الله عليه اي صدق الشيء الذي عاهد الله عليه اما (أن) فلا تكون الا مصدرية • وبذا تكون (ما) قد تؤدي اكثر من معنى احيانا •

٤ ــ ولكون (ما) كذلك أي انها قد تكون مصدرية وقد تكون اسما موصولا وقد تحتمل المعنيين احيانا لذا يؤتى بـ (أن) اذا اريد التنصيص على المصدر وبخاصة اذا كان مجيء (ما) قد يصرف الكلام الى معنى آخر وذلك نحو قوله تعالى (ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزّل عليكم من خير من ربكم) فلوا بدلت (ما) بـ (أن) لكان المعنى انهم لا يودون ما ينزل عليكم أي لا يودون الخير النازل عليكم من الله • وكقوله تعالى (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) أي لمجيء الاعمى ولو قلت : عبس وتولى لما جاءه الاعمى او بما جاءه الاعمى لكان المعنى عبس للشيء الذي جاء به الاعمى ، ولم يأت الاعمى بشيء وانما عبس لمجيئه لا لشيء جاء به ، ولو قال (عبس وتولى ما جاءه الاعمى) لكان المعنى انه عبس وتولى كلما جاءه الاعمى • وكلا المعنيين غير مراد •

ونحوه قوله تعالى (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) والمعنى انكم لا تشاؤون الا بمشيئة الله اي الا اذا شاء الله ولو قال (وما تشاؤون الا ما يشاء الله) لكان المعنى انكم لا تشاؤون الا الشيء الذي يريده الله ويشاؤه • وهذا غير مراد ولا يصح •

٥ ــ الاصل في مصدر (ما) ان يكون مخصوصا وفي مصدر (أن) ان يكون لارادة مجرد الحدث وهذا فرق رئيس بين استعماليهما ولذا لا يحسن وضع احداهما مكان الاخرى احيانا فمثلا قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) يصح فيه تأويل (مما قضيت) بمصدر فتقول (ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا من قضائك) ولكن مع ذلك لا يحسن وضع (أن) مكان (ما) فلا تقول (ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا من ان قضيت) لان المعنى سيكون عند ذاك : عليهم الا يجدوا في انفسهم حرجا من كونك تقضي او من مبدأ أنك تقضي ، وليس هذا المقصود وليس في انفسهم حرج من ذلك بل المقصود أن عليهم ان يرضوا بما يقضي ولو كان لا

يوافق هواهم ورغبتهم ليس في انفسهم حرج من ذلك لا من مجرد أن يقضي ، فيكون مصدر (ما) مخصوصا . وقد يراد بـ (ما قضيت) المقضيّ به أي اسم موصول .

ونحوه قوله سبحانه (سبحانه وتعالى عما يصفون) فانه يصح تأويل (عما يصفون) بـ (عن وصفهم) غير أنا لو ابدلنا (أنْ) بـ (ما) لوجدنا أن المعنى يختلف فلو قلت : (سبحانه وتعالى عن ان يصفوا) لكان المعنى تنزيه الله عن مجرد الوصف ، وليس هذا المقصود اذ لا شك ان الله له الصفات العليا وانما المقصود تنزيهه عن الوصف الباطل والصفات التي لا تليق به سبحانه ، ويحتمل ان تكون (ما) اسما موصولا أي عما يصفونه به من الصفات الباطلة .

ونحوه قوله (افتهلكنا بما فعل المبطلون) وهذا يحتمل ان المعنى : افتهلكنا بفعل المبطلين ومع ذلك لا يصح ابدال أن بـ (ما) فلا تقول : افتهلكنا بأن فعل المبطلون . فأن الاول فعل مخصوص وهو الذي يؤدي الى الاهلاك اما الثانية فيكون المعنى اتهلكنا لان المبطلين فعلوا ولا ندري ما فعلوا ، فالفعل الاول مخصوص معلوم بخلاف مصدر أن . ويحتمل ان تكون (ما) اسما موصولا ايضا .

ومثله قوله تعالى (وضاقت عليهم الارض بما رحبت) والمعنى برحبتها ولو قلت (بأن رحبت) لكان المعنى انها ضاقت عليهم بكونها رحبة وهو معنى متناقض أو غير مراد . ونحوه قوله تعالى (لا تؤاخذني بما نسيت) والمقصود به نسيان مخصوص وهو العهد الذي بينهما ولو قال (بأن نسيت) لا حتمل المعنى انه آخذه بمبدأ النسيان أي آخذه لكونه نسي اي لمجرد حصول النسيان عنده .

ونحوه قوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بسعيها ولو ابدلت (ان) بها فقلت (لتجزى كل نفس بأن تسعى) تغير المعنى واصبح انها تجزى لانها تسعى ، فالاولى سعي مخصوص تجزى به ان كان خيرا

فخير" أو شرا فشر . والثانية انه مطلق السعي فهي تجزى لانها تسعى وليس فيها المعنى الاول .

ونحوه قوله تعالى (ربكم اعلم بما لبثتم) أي بلبثكم والمقصود به زمن لبثكم ومدته ولو قال (ربكم اعلم بأن لبثتم) لكان المعنى ان ربكم يعلم بأنكم لبثتم وهذا غير مراد فالاولى لبث مخصوص بخلاف الثانية .

فمصدر (ما) مخصوص محدود بخلاف مصدر (أن) فانه لمجرد الحدث وهذا فرق رئيس بينهما كما ذكرت .

٦ ــ ثم ان التعليل قد يختلف بينهما من جهة اخرى وذلك ان تقول مثلا (عاقبتك بما ذهبت الى القرية) أي عاقبتك بسبب ذهابك ولو قلت (عاقبتك بأن ذهبت الى القرية) احتمل هذا المعنى واحتمل أنه عاقبه بالذهاب أي جعل ذهابه هو العقوبة . ونحوه ان تقول (لقد جزاك الله بما كنت من المصلحين) و (جزاك الله بأن كنت من المصلحين) فالاولى معناها انه جزاك بسبب كونك من المصلحين والثانية تحتمل السببية وتحتمل انه جزاه بأن جعله من المصلحين ، فالجزاء هو جعله من المصلحين .

٧ ــ ان (ان) تستعمل للتعليل كما ذكرنا بخلاف (ما) وهي تقوم مقام حرف التعليل مع الافعال الماضية وذلك نحو (وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا) وقد تقول ان (ما) وردت للتعليل ايضا نحو (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقوله (اني جزيتهم اليوم بما صبروا) .

غير أن (ما) لم تأت للتعليل الا مع حرف يفيد التعليل اما (أن) فهي حيث وردت للتعليل منزوعة من حرف التعليل في القرآنالكريم الا في نحو قوله تعالى (لئلا يعلم اهل الكتاب) .

٨ ـ التشبيه بـ (ما) يختلف عن التشبيه بـ (أن) وذلك نحو قولك (اضرب كما ضرب خالد) أي ان خالدا ضرب فاضرب انت كضربه ، ولو قلت (اضرب كأن ضرب خالد) لكان المعنى اضرب كأن خالدا ضرب ولا يدل على ان خالدا ضرب فتريد ان يضرب مثله وانما المعنى اضرب كأن الضارب خالد . ونحوه قولـه تعالى (فاستقم كما امرت) ولو قال (فاستقم كأن امرت) لكان المعنى استقم كأنك امرت ولم يفد انه مأمور حقيقة . الى غير ذلك من اوجه الخلاف .

كي : ويفيد التعليل نحو جئت كي استفيد جاء في (لسان العرب) : « كي حرف من حروف المعاني ينصب الافعال بمنزلة (أن) ومعناه العلة لوقوع الشيء كقولك : جئت كي تكرمني ..

الجوهري : واما (كي) فجواب لقولك : لم فعلت كذا فتقول : كـي يكون كذا وهي للعاقبة كاللام »[11] .

وعند بعضهم انها لا تفيد التعليل وانما التعليل من الـلام المقدرة فاذا قلت : جئت كي استفيد فاذا قدرت (كي) مصدرية وجب تقدير اللام قبلها أي جئت لكي استفيد واللام تفيد التعليل[12] .

والراجح أنها للتعليل كما هي في الجارة .

لو : وهي للتمني ولذا كثر وقوعها بعد ما يفيد التمني نحو (ودّ) وما في معناها قال تعالى (ودوا لو تدهن فيدهنون) . جاء في (الكشاف) في قوله تعالى (ودوا لو تدهن فيدهنون) : « فان قلت : لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التمني ؟ قلت : قد عدل به الى طريق آخر»[13] .

---

(١١) لسان العرب ٢٠/١٠١ .

(١٢) المغني ١/١٨٢ .

(١٣) الكشاف ٣/٢٥٧ وانظر جواهر الادب ١٥٦ .

ولذا اذا لم يقصد معنى التمني بعدود فلا يؤتى بها قال تعالى (ايـود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت) قال : « وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم » بخلاف قوله (وودوا لو تكفرون) وقوله (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهـم الارض ولا يكتمون الله حديثا) .

مراجع البحث

١ ـ الاشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي .

٢ ـ بدائع الفوائد لابن القيم ـ المطبعة المنيرية ـ مصر .

٣ ـ التطور النحوي ـ برجشتراسر ـ مطبعة السماح ـ مصر .

٤ ـ جواهر الادب في معرفة كلام العرب للامام علاء الدين بن علي الاربلي ، المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٧٠ .

٥ ـ حاشية الصبان على شرح الاشموني ـ دار احياء الكتب العربية .

٦ ـ حاشية يس العليمي على التصريح ـ دار احياء الكتب العربية .

٧ ـ شرح الرضي على الكافية ـ مطبعة الجوائب .

٨ ـ الكشاف للزمخشري .

٩ ـ لسان العرب لابن منظور ـ نسخة مصورة عن طبعة بولاق .

١٠ـ المغني لابن هشام ـ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد .